

الجسد الأنثوي في المخيال الذكوري من خلال الثقافة الشعبية الجزائرية
. قراءة وتحليل أنثروبولوجي.

The female body in the male imagination through Algerian popular
culture

Anthropological reading and analysis.

رحاب مختار*

جامعة عباس لغرور، خنشلة (الجزائر)

تاريخ الاستلام: 2019/08/02 تاريخ القبول: 2020/01/06 تاريخ النشر: 2020/12/23

ملخص:

ظل الجسد ذلك الفينومينولوجي الذي يسمح برصد العلاقة الجدلية البينذاتية. حيث أن الذات تنخرط في العالم وتلازمه لتصبح متجسدة ومنفتحة على مجموعة علاقات بين الذوات، وما سماه ميرلوبونتي بالبينذاتية الإنسانية أو البينذاتية المعيشة أي علاقات قائمة بين الأشخاص وسلوكياتهم وانتماءاتهم وأفعالهم المشتركة. وهذا لا يكون إلا من خلال مكانة الجسد في ربط الأنا بمحيطها الثقافي. ويظل رهاننا متأكدا في مجاوزة الشكل الدوغمائي الذي يكرس نمطا من السلوك المتحجر حول الجسد باعتباره "مدنس". والتأكيد على التوظيف الإيتيقي في إخراج مسألة الجسد وفق قراءة إعادة بناء فهمنا حول أجسادنا وفق أشكال فكرية تواكب مقتضياتنا الفكرية في عالمنا المعاصر.

كلمات مفتاحية: الجسد؛ الرهان؛ الإيتيكا.

Abstract:

The body remained that phenomenological that allows the observation of the dialectical relationship between subjectivity. As the self is involved in the world and accompanies it to become

*رحاب مختار، جامعة عباس لغرور، خنشلة (الجزائر) dr.mokhtar78@yahoo.fr

embodied and open to a set of relationships between the selves, and what Merleau-Ponty called human subjectivism or living interpersonalism, i.e. relationships existing between people and their behaviors, affiliations and common actions. This is only through the body's position in linking the ego to its cultural environment. Our bet remains certain to go beyond the dogmatic form that perpetuates a pattern of ossified behavior around the body as "profane". Emphasizing the ethical employment in bringing out the issue of the body according to a reading of rebuilding our understanding about our bodies according to intellectual forms that keep pace with our intellectual requirements in our contemporary world.

Keywords: the body; the bet; Aleightiqa.

القدمة:

المرأة في نظر الرجل هي الشكل الجميل الناعم اللطيف، فهي التي تكون معها المؤانسة، وهي الأشد إشراقا وفتنة، وهي الحافز الذي يدفع إلى التحدي، و يعصم من التردّي، لولاها لما كان استمرار و دوام لحياة البشر، ذلك أن وصالها هو الأروع وهو أجمل وصال، فهي أهم حرث و أطيّب و أجمل مدرسة، المرأة تتفتح فتثمر طفولة و براءة. والرجل يحس بالألفة مع المرأة لأنها من جنسه، و يفتتن بها، و يتغنى بمحاسنها بسبب اختلاف الخلقة بينهما، فيرغب دوماً في الاجتماع بها، و كلاهما لباس للآخر. يستر الرجل عورته بالمرأة كما تستر هي عورتها بالرجل، يسدان حاجتهما ببعضهما البعض. والإنسان بطبعه يعجب بالجمال عموما ويحبه ويميل إليه، خاصة إذا كان الجمال الظاهر أو المقصود هو جمال المرأة، فلا جمال في الكون يكافئ جمالها، فهو العنصر الساحر لأعين الرجال، و الأداة الجاذبية، و الصورة الفاتنة. و حسب ما تنص عليه الروايات التاريخية و الأسطورية و الدينية فالمرأة كانت أداة فتنة و مصدر غواية منذ اللقاء الأول بينها و بين الرجل، فكانت سببا في هبوط الإنسان من الفردوس و النعيم إلى الأرض.

إن الرجل إذ يبصر و يلتقي المرأة، أولما يخطر على باله و يترك أثراً في نفسه هو حسنهما و جمالها فيرى ما يعجبه منها و قد يفتن، و لا شك أن الفرد المبدع منهم يسوق في ذلك أمثالاً و أقوالاً أو بالأحرى يخلف شكلاً من أشكال التعبير عن هذه الظاهرة، و إذا كان أصحاب النخبة لهم أساليبهم في وصف شكل المرأة و جمالها والتغني بمحاسنها، فالطبقة الشعبية العامية هي الأخرى لها حظ وافر في هذا الشأن، فالتراث الشفهي ملئ بالأقوال والأمثال و الأغاني التي تمجد المرأة و تصف جمالها.

وفي هذه المداخلة سأعمل على إبراز تمثيلات المخيال الذكوري للجسد الأنثوي في الثقافة الشعبية الجزائرية، اعتماداً على شكل من أشكال التعبير الأكثر شيوعاً واستخداماً في المجال اليومي لأفراد المجتمع، ويتمثل هذا الشكل التعبيري في الأمثال الشعبية الجزائرية، فمن خصائص هذا الشكل الذي يعد جزءاً من الثقافة الشعبية، هو البلاغة، اختصار تجارب الحياة وتدوينها، سرعة حفظه وتنقله بين الأجيال، إضافة إلى مقاومة النسيان والاندثار مقارنة بأشكال التعبير الشعبي الأخرى.

و قبل الولوج في التعامل مع نصوص الأمثال وما اشتملته من عناصر يتشكل منها جمال المرأة، و الأشكال الكلية لذلك، و إبراز نماذج للنساء الجميلات، أرى من الضروري التطرق إلى بعض التعريفات.

أولاً: التعريفات والمفاهيم

1- تعريف الجسد:

يرى بعض الباحثين أنه يمكننا اعتبار "الجسد نظاماً من العلامات الدالة والمنتجة للمعاني، واعتبار حركاته إنتاجاً ثقافياً إنما تخضع لطبيعة الحضارة ونظام الثقافة، فهي تختلف من ثقافة إلى أخرى، فللجسد لغة وهي سابقة عن لغة اللفظ، فكل استعمال للجسد هو تعبير، كما أن النشاط والسلوك الذاتي للجسد ينم عن إدراك عام لما يفرزه المحيط الخارجي من معانٍ نتبينها ونجلوها من مختلف التعابير الجسدية، فالفرد يخلق من

خلال جسدانيته نسيجاً دلالياً، فالجسد وعاء لمعان اجتماعية، ولهذه الاعتبارات، فإن الجسد كمبحث أصبح على مستوى التنظير والممارسة قطبا رئيسيا للاهتمامات المعاصرة ومرجعاً ضرورياً يتناول الفرد والمجموعة في كل الأبعاد. (صوفية السحيري بن حثيرة، 2008، ص17، ص18).

ووفق وجهات نظر بعض الباحثين السوسيولوجيين والأنثروبولوجيين فإن للبيئة الاجتماعية دخل وتأثير معتبر في وجود بعض السلوكات الجسدية، وأشكال يمكن قراءتها من خلال الخلفية الثقافية التي تعمل على تميز مجموعة بشرية عن غيرها، مع ما قد يوجد من قواسم ثقافية مشتركة بين هذه المجموعات، إذ بواسطة التربية على الحاجيات والأنشطة الجسمانية تطبع البنية الاجتماعية دمجها على الأفراد. (Marcel Mauss; Sociologie et Anthropologie Quadrige; PUF).

2- تعريف الجمال:

و من بين تعريفات الفلاسفة للجمال يورد "عبد الرحمان بدوي" تعريف الفيلسوف "سنتيانا"، فالجمال عنده: هو اللذة إذا تجسدت موضوعاً، فحينما يرى المشاهد أن لذته هي صفة في الموضوع الذي يشاهده فإنه يقول عنه أنه جميل، و يضيف "سنتيانا" بأن الجمال هو لذة إيجابية ذاتية متمثلة في الموضوع الجميل أو هو اللذة منظورا إليها على أنها صفة في الشيء. (عبد الرحمان بدوي، 1984، ص-ص، 583-584).

من شروط الجمال الكمال و نسبة هذا الأخير مرتبطة بنسبة حضور الكمال، فيمكن أن نصف الشيء بأنه في غاية الحسن و الجمال إذا اجتمعت كل الكمالات والصفات اللائقة به و مثال ذلك الزهرة تكون جميلة إذا كانت متناسقة الألوان بهيئة الشكل طيبة الرائحة كذلك المرأة تكون حسنة إذا اجتمعت فيها كل الصفات اللائقة والمتناسبة من ناحية الشكل.

و إذا عدنا إلى مدونة الأمثال و تأملنا في نصوصها المتعلقة بالجانب الجمالي ينجلي لنا أنها احتوت نماذج، و عناصر مختلفة، فهناك نصوص تبرز صورة كلية للمرأة، و إذا كانت مستحسنة تترك أثرا في نفسية قائل المثل، كما تترك هي الأخرى نشوة لدى السامع ثم تأتي نصوص أخرى مفصلة لهذه الصورة الجمالية الكلية، لتبرز لنا صورا جمالية جزئية تكاد تغطي جميع أعضاء جسد المرأة، و إذا كانت نصوص الأمثال التي هي قيد الدراسة قد أبرزت الصورة الكلية، ثم فصلتها بصورة جزئية بالنسبة للمرأة الجميلة، فإنها على العكس تماما مع المرأة الذميمة، فقدمت لنا الأمثال الصورة المرفوضة و المستنكرة مجملة دون تفصيل. و لما كان للباس الذي يرتديه الإنسان دور في تحقيق الجاذبية و ذلك من خلال إبراز الجانب الجمالي للشخصية، نجد أن الأمثال قد حفلت بنصوصها ببعض الألبسة و الحلي التي تتخذها المرأة للزينة، تقول " نازك الملائكة" في هذا الأمر: ((الحياة مترابطة موحدة لا يمكن تجزئتها، و الملبس يؤثر في العقل، و يحدث تغييرا في روح الإنسان)). (نازك الملائكة، 1980، ص 47)

وإضافة إلى اللباس هناك مجموعة من الأساليب والطرائق والأدوات التجميلية التي يهتم بها الإنسان عموما، و المرأة بوجه خاص، تعمل على إضفاء الحسن والجمال للجسد الإنساني، و من أبرز أدوات التي كانت ولا تزال تزين بها المرأة في منطقة المغرب العربي، والتي كانت حاضرة في نصوص الأمثال الشعبية نجد: الكحل، والحناء، وتذكر بعض الدراسات "أن المرأة في عهد الدولة الحفصية استعملت الخضاب في اليدين والقدمين: وترمز الحناء إلى الفرح والسعادة ولذلك تستعمل في كل المناسبات السعيدة والأعياد، كما ترمز للبركة، ويقال إن رائحتها من الجنة" (Chebel ;M 1995,p197)

والملفت للانتباه حقا، هو أن الطبقات الشعبية التي تهتم غالبا بالسطحية في التفكير والخشونة في السلوك وانعدام الذوق، نجدها عكس ذلك تماما، فإذا ما سبرنا أغوار عناصر التراث الشعبي كالأمثال الشعبية، فإلى جانب إبرازها للجانب الجمالي الجسدي الخارجي، نجدها بالمقابل قد أعطت أهمية معتبرة للجمال الباطني و كمال النفس الخلقي.

ثانيا: الصورة الشكلية الكلية للمرأة:

1. الصورة الجسمية الكلية للمرأة:

تقدم لنا بعض نصوص الأمثال صورة كلية عن المرأة مبرزة بذلك نموذجا جماليا خاصا، بمجتمع البحث، قوام هذا النموذج الجمالي: الوضاحة، و الطول وكذلك القَد المعتدل، و من النصوص الواردة في هذا المجال:

" قالت للشمس طلي و إلا نطل "

" طلعة طلعة شمس و القد غزالي و بالأولاد شائها عالي " .

" زين المرأة في ضيائها و زين العاتق في حياها " .

و تدل لفظة الشمس في نص المثل على الوضاحة و الضياء و النور فشبه بروز المرأة ورؤيتها لأول مرة كبروغ الشمس وطلوعها، وإضافة إلى وضاحة المرأة وضيائها، ترتبط مع الوضاحة صفة أخرى و هي صفة القَد المعتدل و المتناسق و مثلهم في هذا هو حيوان الغزال.

فالمرأة حسب رأي بعض أفراد المجتمع، جسمها عموما ينبغي أن يكون معتدلا فلا هي بالسمينة المملوءة بالشحم، و لا بال نحيفة التي لا يمكنها أن، تقوم بدورها في بيت الزوج و المجتمع عموما، و كما يقول المثل: "لولاد لازمهم مال كاتر و صحة حافر " وحسبهم أن المال الكاتر يوفره الأب، و صحة الحافر يجب أن تتوفر في المرأة، و لفظة: " حافر " هي من الأعضاء التي تسير عليها الحيوانات (كالحصان مثلا)، ودلالة هذه اللفظة هي الإشارة إلى القوة و الجد و هذا لا يمكن أن يكون إلا عند المرأة القوية.

واستحسان الوضاحة و الطول و البدانة (وفق القَد الغزالي) هي من العناصر التي يمتاز بها النموذج الجمالي العربي، فالنموذج العصري وإن كان يميل إلى النحافة عموما، فلم يؤثر على الذوق التقليدي و الأصيل للمجتمع الجزائري خاصة لدى فئة الشباب (18-30 سنة) فنسبة كبيرة جداً منهم تحبذ النموذج الجمالي العربي .

كذلك تظل صفة الطول من الأمور المحببة في النموذج الجمالي، ولا يقصدون بالطول الطول المعيب، وإنما الطول الذي يساير الجسم الممتلئ أو البدين، فيكون الطول متناسقا مع امتلاء الجسم، والامتلاء حسيهم يكون خاصة في الصدر (النهدين) والروادف، فيتولد شكلا أو صورة حسنة، ومن الأمثال الواردة في هذا الشأن "طويلة وعريضة.." وبالإضافة إلى الوظيفة الجمالية للطول فله وظائف أخرى تضفي على المرأة أمورا إيجابية خاصة أثناء العمل، فيقولون في هذا الشأن: "الطويلة تقضي حاجتها ولقصيرة تعيط "تنادي" لجارتها".

وإذا كانت الصورة الشكلية الكلية للمرأة يجب أن تتوفر على: الطول، الوضاعة، وامتلاء الروادف، وبروز الصدر، وقوامه القد، فهذه العناصر مجتمعة تتولد منها صورة جمالية ذوقية تبعث في نفس الإنسان نشوة وسعادة، إضافة إلى هذا فبالجسد يمارس الإنسان نشاطه مع بني جنسه حقا أو واجبا ولا قوام للنفس بغير البدن، فالنفس كما قال "أرسطو" قديما لا تفعل ولا تنفعل بغير البدن (طاليس، تر: الأهواني، 1962، ص 159). ولكي تتضح الهيئة الشكلية الخارجية للمرأة أكثر فلا بد لها من هيئة صبغية أو لونية، فما هو اللون المفضل في النموذج الجمالي الذي يناسب الأعضاء في وضعها المتناسق؟

2. اللون:

اللون والجمع ألوان: ما فصل بين الشيء وغيره، وهو صفة الشيء وهيئاته من البياض والسواد والحمرة وغير ذلك (البستاني وآخرون، 1991، ص 740). واللون هو الهيئة الصبغية التي يكون عليها الشيء و الجمع ألوان، ومن خلال استقصاء وتحليل نصوص الأمثال الموظفة في هذا المجال نجد أن الأفراد في المجتمع الجزائري يحبذون قيم لونية، هذه الأخيرة عندهم من الأمور المستحسنة تزيد المرأة جمالا وبهاء.

ومن الأمثال الواردة في هذا الشأن:

" السمرة حمرا كالتمرة حطها على الجرح يبرا " .

" السمرة دقلة في الصنادق والبيض جير في الخنادق " .

وإلى جانب اللون الأسمر كذلك وجدت استحبابا للون الأبيض، فحصل شبه تنافس بين اللونين، وتوظيف اللون الأبيض جاء مضادا للون الأسود، فالأمثال الشعبية توظف اللون الأبيض مقترنا بالمرأة الممتلئة صحة وعافية، فمن بين الأمثال الواردة في هذا السياق نجد: "البيضة صافية لعيون". هذا بصورة مجملة، وتفصيلا ارتبط البياض ببعض أجزاء جسم المرأة كالصدر، والساق، وهذا ما سنأتي على تفصيله لاحقا.

كما جاء في أمثالهم حول استحسان اللون الأبيض تشبيههم المرأة بالقمر، "...قمرية في ليلة ظلماية"، " تقول للقمر أطلع وإلا نطلع"، و القمر هي البياض المستنير، و اللفظ مشتق من القمر، و من خلال إجراء البحث الميداني والمعايشة اليومية وجدت أن اسم " قمر" من الأسماء التي تسمى بها بعض النساء، كذلك اسم " الزهرة"، و "زهور" و "زهيرة" والزهرة هي البياض الساطع.

من خلال استعراضا لنصوص الأمثال المتعلقة باللون كعنصر أساسي في البناء الجمالي للمرأة. نلاحظ تنافسا بين لون البياض و لون السمرة، و من خلال هذا يمكن أن نصل إلى أن المعيار الجمالي المحبب في المجتمع الجزائري من جهة اللون، هو اللون الأبيض و اللون الأسمر.

أما بالنسبة للسواد كقيمة لونية، فإذا كانت المرأة السوداء غير مرغوب فيها فإن اللون الأسود في بعض أعضاء جسد المرأة، يعد من الأمور الأساسية لكي تكتمل اللوحة الفنية (الجمالية) كسواد الشعر، والعين، والحاجب، هذا الذي سنتطرق إليه لاحقا. إن استعراض الأمثال المتعلقة بجمال المرأة عموما، و باللون خصوصا نجد أن الأمثال المحددة للبياض تسجل نسبة شيوخ معتبرة مقارنة بالنصوص المتعلقة باللون الأسمر.

ومن بين الدلالات التي تحملها القيمة اللونية "البياض" أنها تطلق على من صفى كرم نسبه وعمله بين أفراد الجماعة، فمن بين الأقوال الشائعة في هذا المضمار: "أيدينا بيض" أو "أيدينا نضاف"

وإذا كان اللون الأبيض قد دل على قيم خلقية فإنه قد وظف كذلك لتكون له دلالات خلقية خاصة بالنسبة للمرأة، فاقتربت دلالات البياض عند المرأة بالصحة والجمال، مبرزا صيغا غزلية تتعلق بموضوع الحب والجمال.

ولكن إذا عدنا إلى نص المثل الأول الموظف في قسم الصورة الخارجية الكلية للمرأة: طلعة طلعة شمس والقدر غزالي و بالأولاد شاهها عالي" أو المثل الآخر: "قالت للشمس طلي و إلا نطل " و قارناه مع نص المثل المتعلق بالجانب اللوني في عنصر البياض: " تقول للقمر إطلع وإلا نطلع "، " قمرية في ليلة ظلمية ". نجد تضاربا خالصا بين نصوص الأمثال فهناك أمثال تستمد الضياء والوضاحة من الشمس، وهناك مصدر آخر يستمد منه البياض ألا وهو القمر، ويمكننا أن نتساءل: فما مرد هذا التضارب؟ هذا ما سنحاول الإجابة عنه أثناء عملية التأويل الأنثروبولوجي لنصوص الأمثال.

ثالثا: التأويل الأنثروبولوجي:

إن التركيز على امتلاء جسم المرأة، خاصة في موضعي الصدر والروادف فتكون المرأة بدينة معتدلة – دون السمنة المفرطة – هي من المعايير المهمة في الجانب الجمالي، ولكننا على درجة أهم في جانب آخر، فالبدانة تعتبر من الشروط الضرورية التي تمكن المرأة من أداء دور الخصوبة، ووظيفة الأمومة، وهذا التصور ليس مقتصرًا على المجتمع الجزائري بل حتى المجتمع العربي، وإنما هو منتشر في أفق العديد من المجتمعات، وليس بالجديد، فأغلب الظن أنه يعود إلى عقائد قديمة، و من بين الأدلة التقريبية في هذا الشأن، يمكننا أن نستدل بما جاء به " علي البطل" نقلا عن " براندون " في وصفه للتماثيل. (علي، البطل، 1983، ص 56).

فهو يعطي تصورا أكثر وضوحا لصورة المرأة في العقيدة القديمة فيقول: " تمدنا حفريات العصر الحجري بالتصور الديني لأهله، ففي عديد من المدن وجدت تماثيل من الحجر أو العظام، لنساء يلفت النظر إليها شيئان: أن الأعضاء الأنثوية قد بولغ في تضخيمها، و أن الوجه لا يحمل أي ملامح و هذه التماثيل صغيرة و صالحة للنقل، و مغزى تضخيم أعضاء الأنوثة مع الوجه الخالي من الملامح أنهم لم يكونوا يرسمون امرأة بشخصها المعين، و لكنهم يستحضرون المرأة بوصفها " أماً " أي مصدر الخصوبة واستمرار الحياة، كما يذكر كذلك " أحمد الأمين " أنه عند الإشارة إلى خصوبة المرأة لا ترسم امرأة معينة بل تبرز الأعضاء الأنثوية، و السبب في ذلك هو الاحتذاء بصورة مثالية لأمراة كانت منذ أقدم الأزمان تقديس فيها صفة الخصوبة، خصوبة جنسية تؤدي إلى الأمومة، الأم واهبة الحياة، وضامنة استمرار النوع البشري. (أحمد، الأمين، 1991، ص61)

و إذا عدنا إلى التضارب الذي أشرنا إليه سابقا حول توظيف ثنائية (شمس / قمر) فنقول إذا كانت الشمس قد وظفت للدلالة على الوضاحة و نضارة المرأة فإن توظيفها يعود إلى افتراضين اثنين:

1- وظفت الشمس "كرمز" بسبب تأثير الفرد بمحيطه و بيئته التي يعيش فيها، فالمرأة الجميلة تشارك مع الشمس في بعض الخصائص كالصفاء و الضياء، والوضوح فكلاهما يملأ عين الناظر بمنظر رائع و يبعث في النفس الارتياح و كأن هذا الاشتراك بين المرأة و الشمس شكل موازنة مستمرة بينهما.

2- يعود توظيف الشمس كرمز إلى مترسب أسطوري قديم: فإبراز صورة المرأة ناضرة كصورة الشمس فيه دلالة تعود إلى زمن غابر كانت فيه الشمس معبودة " الشمس الأم "، و نص المثل ارتبطت فيه وضاحة المرأة بالشكل المستمد من الغزال، فالغزال هو الآخر صورة من صور الشمس. (أحمد، كمال زكي، مجلة فصول، 1981، ص 124). ووفق النظرية الانتشارية، يمكن أن تكون الرواسب الأسطورية قد انتقلت من مجتمع إلى آخر.

وهناك افتراض ثالث فتشبيه المرأة بالشمس ليس من قبيل أنها المعبودة و لكن من قبيل التشبيه المعقول فهي شمس تمتاز بنورها الساطع و علوها الذي لا يمكن للمحبوب الوصول إليه .

وبالمقابل في أمثال أخرى نجد أن المرأة استمدت صورتها من القمر، ومرد ذلك أن تشبيه المرأة بالقمر بدأ يشيع منذ انتشار الإسلام حتى أنه صار يزاحم الأصل الصحيح، فأصبح تشبيه المرأة بالقمر و البدر، خاضع لمنطق الوعي العقلي لا منطق الأسطورة القديمة. (علي، البطل، 1983، ص 56).

فالقمر هو الذي يضيء أثناء الظلام لا الشمس وهو شبه حسي وصار هو المطلوب لا الشبه المعنوي، فالتشبيه بالقمر فيه المنطق العقلي الواعي للتشابه الشكلي. وما يمكن أن نستخلصه مما سبق أن الأمثال الشعبية في هذا الجانب أبرزت بعض الأصول لأنساق فكرية تستخدمها الأغلبية العظمى من أفراد المجتمع دون أن يعلموا مغزاها و منبعها الأصيل.

تبرز هذه الأمثال مدى تفاعل الفرد مع البيئة وتوظيفها للتعبير عن إحساساته، فالمرأة كانت هي جماع مظاهر الجمال وصوره، فشبهها بالشمس، والغزال، والقمر، ولذلك فهي محور اهتمام ذوقي رقيق و عاطفي جياش، كما أن تشبيه المرأة بالثمر " التمر ". كما في نص المثل: " السمرة حمرة كالتمر حطها على الجرح يبرأ " فنرى أن تشبيه المرأة بثمر التمر فيه دلالة ترمز إلى الخصوبة، و هذه الدلالة مرتبطة بشجرة النخيل و هي من الشجر المبارك، كما أن استنباط تشبيه المرأة بثمار النخيل، فيه تعبير عن شخصية المجتمع و عبقريته، ذلك أن ثمار النخيل يعد — خاصة فيما مضى — من أسس الحياة في المجتمع و هنا يبرز دور التراث الشفهي في صناعة تفكير الفرد و المجتمع، الذي يتجلى في إبداعات و تشبيهات، و تشكيلات مادية تارة أخرى، و من جهة أخرى نجد أن تشبيه المرأة بثمار النخيل، فيه إشارة إلى إشباع الرغبة، و تحقيق اللذة بجماع المرأة، إضافة إلى هذا نجد أن

المبدع الشعبي قد وظف كلمات التشبيه بدقة، فذكر " السمرة، التمرة "، فلون السمرة يتطابق وآخر لون تتخذة ثمرة النخيل فهي في البداية خضراء ثم صفراء في المرحلة الثانية، لتصبح حمراء ممزوجة بسواد في المرحلة الأخيرة، وهي مرحلة النضج، هذه المرحلة تشترك فيها التمرة و المرأة، فكلاهما يصبح مصدرًا من مصادر تحقيق اللذة والاستمتاع. إضافة إلى ما سبق نجد أن تشبيه المرأة ببعض العناصر الطبيعية كالشمس مثلاً، أمر يوحى بأبعاد أسطورية، حيث كان الاعتقاد السائد آنذاك بأن وراء مظاهر الأشياء العادية قوى غامضة.

كذلك يمكننا القول بأن بناء النموذج الجسدي على غرار النموذج الطبيعي يفصح عن تصور للكيان الإنساني لا يتم فيه الفصل بين الجسدي واللاجسدي و الشخصي و غير الشخصي، مما يدل على أن عملية التشبيه في ربطها الجسد و قوة الطبيعة الكونية تحول الجسد إلى كيان رمزي محمل بقوة الطبيعة وجمالها نفسها، فالكثير من أعضاء المرأة لها ما يقابلها في الطبيعة.(فريد، الزاهي، 1999، ص88)

لقد كان تفاعل و تعامل الفرد و المجتمع مع المرأة، تعاملاً أملتة طبيعة نصوص الثقافة الشعبية، هذه الأخيرة صنعت للفرد تمثلاً أو تصوراً لما يجب أن تكون عليه علاقته مع المرأة، هذه العلاقة تبدو علاقة وظيفية و ذلك من خلال ارتباطها بالميل و الرغبة الجنسية، فالتمثل الذكوري للأنثى في الجانب الجمالي كان مرتكزاً على الرغبة و اللذة .

فكأن النموذج الجمالي و معايير تعيينه تكون دائماً تعبيراً عن وضعية الليبدو في مجتمع ما، من ثمة فإن ترابط المتعة و الشهوة بالنموذج الجمالي واضحة، إنها تؤسس للحظة الجنسية المرتقبة و لو على مستوى المتخيل.(فريد، الزاهي، 1999، ص88)

إن ظاهرة الجمال في الفكر العربي اتخذت مغزى تجريبياً في استنتاجهم للأذواق الحسية، و هي النظرة السائدة في تقويم المنظور العربي القديم لمعنى الجمال، و قدمها يتدرج بهم إلى عصر ما قبل الإسلام، حيث كانوا يربطون النظرة الحسية بوصف الطبيعة و

المرأة، غير أن وصف المرأة كان له الحظ الأوفر من الإعجاب و لا غرابة في أن يكون تعبيرهم نابعا من إحساس في تحقيق التكامل بين معطى النفس و ملامح الطبيعة وفقا لما تفرضه الصور الحسية من نقل المشاعر الداخلية، و ما شابه ذلك من المظاهر الخارجية في صورتها الشكلية الظاهرة.(عبد القادر، فيدوح، 2000-2001، ص36)

رابعا: الصورة الشكلية الجزئية (العضوية) للمرأة:

إذا كانت نصوص الأمثال في الشق السابق من هذا المبحث قد قدمت لنا صورة جمالية كلية، فبعض الأمثال جاءت بوصف خاص و طابع جمالي يجب أن يتوفر في أعضاء جسد المرأة.و من بين الأعضاء التي وصفتها نصوص الأمثال نذكر:

1. العين:

العين هي حاسة البصر لدى الإنسان و غيره، الجمع عيون، و يقول رجل عين وإمرأة عينا أي واسعة العيون، و المتأمل في نصوص الأمثال المتصلة بوصف العين كعضو من أعضاء جسد المرأة، نجد أنها أبرزت المواصفات التي ينبغي أن تتوفر في العين وإلا أصبحت عضوا مشينا ينقص من جمال المرأة، ومن بين مواصفات العين المستحسنة التي يتغزلون بها: "الاتساع والسواد والحدود والصفاء، ومما يزيد العين بهاء، إذا كان الشفر مزدانا بالكحل و من الأمثال الواردة في هذا الشأن نذكر:

أ - من ناحية الشكل:

*الاتساع:

نجد أن العين الكبيرة الواسعة هي المحبذة خلافا للعين الضيقة فالمثل يقول: " الفم تدويره خاتم و العين قد الفنجان " ، فنص المثل يبرز لنا الهيئة الجمالية لعين المرأة مقرونة بعضو آخر هو الفم، فالفم يجب أن يكون صغيرا بشكل الخاتم والعين بحجم الفنجان .

كذلك من بين الأشياء التي يمكن أن نستنبطها من نص المثل، هو الربط بين الشفتين والعينين، والمغزى من وراء هذا الجمع هو محاولة إيجاد تصوير غزلي متكامل من طرف الرجل للمرأة فالعينين رفقة الشفتين تبعثان الجمال في الوجه.

ب- من ناحية اللون:

نجد اللون الأكثر شيوعا وانتشارا في نصوص الأمثال هو اللون الأسود "اللي عينو في الزين ياخذ دعة العين"، "ودعجت العين: صارت شديدة السواد مع سعتها فصاحبها أدعج وهي دعجاء، والدعجة: سواد العين مع سعتها" (البستاني، ص 215).

فالعين السوداء نجدها تسجل حضورا قويا في الأغاني الشعبية والتي لا يزال بعضها متداولاً خاصة أثناء المناسبات والأعراس، بخلاف اللون الأزرق الذي نجد له حضورا محتشما، فمن بين الأمثال الواردة في هذا الشأن نذكر: "الخد ورقة والعين الزرقعة"، و مرد الانتشار الواسع للون الأسود المتعلق بعضو العين، أن أغلب البيئات في العالم العربي ينتشر فيها هذا اللون، هذا من جهة، و من جهة أخرى ذوقية فسيفسائية في عالم الألوان، فنجد أن حضور اللون الأسود مع الوجه الأبيض يزيد المرأة ضياء، واستنارة و بهاء، كما أن سواد العين كما ورد في تفسيرات بعض أفراد المجتمع يدل على قوة البصر وحدته، والزوج لما يختار المرأة يشترط أن تكون سليمة البصر قوية النظر.

و إذا كانت العين قد وظفت في الحب و التغزل، فعلم النفس أبرز أن العين توظف لمعرفة الجانب الداخلي و الباطن الإنساني، فالعين تتصل بالجسد و تحدد الأبعاد المادية وهي تدل أيضا على المعنى (أسعد علي، 1981، ص 204)

إضافة إلى ما سبق هناك لواحق تحيط بعضو العين تزيده بهاء و جمالا من بين هذه اللواحق الأشفار و مفردها شفر وهي: منبت شعر جفن العين، و يطلق عليها في الأمثال الشعبية لفظ "الشفر أو الرمش"، فالعين تزداد بهاء، كما ذكرت كلما كانت الأشفار سوداء و طويلة، و هذا الذي حث عليه نص المثل.

2. الصدر:

من الأمور التي يتميز بها صدر المرأة " الامتلاء " وهذا يتحقق ببروز الثديين ومن الأمثال الواردة في هذا الشأن: " البنت لبان منها الكاس ما تخليهاش اطلع الراس "، ويقصدون بالكأس الأثداء، فالبنت لما تبلغ سن البلوغ والنضج تبرز أثداؤها فيمتلئ صدرها و تزدان استحسانا .

فمن الجانب الجمالي الغزلي يعتبر الثدي من رموز النضج والإغراء، فهي تثير الشهوة، وتكون محفزا لإقامة العلاقات مع الأنثى والاتصال بها، و يظل النهد مقياسا من مقاييس الجمال ما دام بارزا و مرتفعا.

وفي هذه المرحلة تتغير النظرة لوظيفة الثدي، فإذا كانت وظيفته عند الفتاة هي الجاذبية والإغراء و الشهوانية، فوظيفته عند الأم هي الخصوبة والنماء والعطاء. وأهم ما يمكن أن نستخلصه في هذا الشأن أن تفضيل بروز الأثداء هو من الذوق الجمالي العربي، فمن أقوالهم في ذلك أن المرأة ذات الأثداء والنهود الضخمة البارزة تدفي الضجيع أي المضاجع للمرأة في الفراش وفيه دلالة عن الجماع، وتروي الرضيع اعتقادا منهم أن صاحبة الثدي الضخم تدر حليبًا وافرًا فتكون بذلك أحسن مرضعة.

ولكن إذا أمعنا النظر فيما سبق نجد أن الصفات الجسدية التي تجمع للمرأة مقاييس الجمال الكامل فإذا كان غرضها البادي هو المتعة الحسية، فالمقصود الخفي هو القيام بدور الخصوبة واستمرار الحياة أي ارتباط هذه الأعضاء الجنسية بوظيفة الأمومة وقابلية الخصب التناسلي، وهي الوظيفة البيولوجية المنوطة بالمرأة، ومعيار كمالها و بروز دورها في الحياة الاجتماعية.

3. الفم:

يشير الفم إلى الجزء المفتوح في وجه الإنسان والمستعمل في الكلام، ومن بين المواصفات التي يجب أن تتوفر في الفم كي يكون جميلا هي صغر الحجم مع الاستدارة، ففي نصوص الأمثال الشعبية يوصف الفم باستدارة صغيرة تشبه استدارة الخاتم.

وقد جاءت الوحدات في نصوص الأمثال في سياق واحد تقريبا يتعلق بالمرأة ووصف فمها وأسنانها وريقها في مصاحبة ألفاظ تشير إلى ذلك، ومن بين الألفاظ التي تشير إلى وصف الأسنان نجد: "ادفع لملايين وجيها مفلجة السنين"، والفالج هو اعتدال الأسنان مع وجود فراغ دقيق يفصل بينها، والفالج يزيد المرأة بهاء إذا تبسمت فيبدو ثغرها جميلا.

كذلك من بين الأمثال الشعبية الواردة في هذا الجانب: "عينها من لبعيد تشوف، وسنيها بيض صوف" فمن خلال المثل نجد أن اللفظة "صوف" لها دلالة وهي بياض أسنان المرأة تشبها بلون الصوف الناصع البياض، وهذا الذوق أو الوصف الجمالي لأسنان المرأة موجود في "نشيد الإنشاد": حيث شبه أسنان المحبوبة بقطيع نعاج صادرة من الغسل، كل واحدة منها متمم، وليس فيها عقيم. (الكتاب المقدس، طبعة العيد المئوي ي 1883-1983. ص 6) وإذا أردنا تفسير هذا التشابه بين الثقافات فربما يكون مرده إلى أصول مشتركة بين الثقافات الإنسانية ؟

كذلك في الصور القديمة هناك صور تجمع بين ضوء الشمس و أسنان المرأة، فكانوا في القديم يرمون السن صوب الشمس لتبدله سنا آخر أجمل وأصلب، يقول "النوري" في كتابه: "نهاية الأرب": "فالغلام إذا ثغر فرمى سنه في عين الشمس بسبابته و إبهامه و قال: أبدليني أحسن منها، أمن على أسنانه العوج" (شهاب الدين أحمد، النوري: (د.ت)، ص122)

فكانت الشمس ينظر إليها على أنها هي التي تهيب الإنسان سنا جميلا، فالأسنان هبة الشمس، وهذه الظاهرة نلاحظها في مجتمعنا ففي الماضي القريب كان الطفل الصغير لما

يقتلع سنه لأول مرة يأمرونه برمي سنه صوب الشمس قائلا: "هاك سنة الحمار و أعطيني سنة الغزال"، فإذا كان هذا الأمر يمارس من طرف أفراد المجتمع فلما يسألون عن السبب فهم لا يملكون جوابا، وإذا كان فجوابهم وجدنا من سبقونا يفعلون ذلك، غير أن الأمر أو هذه الممارسة هي من الرواسب المترسبة في قعر الإناء الفكري والعقدي للمجتمع.

4. الشَّعر:

لما كان تاج المرأة هو شعرها فقد اهتمت به و أولته عناية فائقة، و تعددت عند المرأة وسائل الاعتناء و الاهتمام بالشعر، و من الأمثال الواردة في هذا المجال نجد: "هي نهار و شعرها ليل"، "اللي حب بنات لفتول يبيع البقرة و يزيد لعجول"، "لمرا شعر طويل و عقل قصير"، من خلال هذه الأمثال يتضح لنا الشكل و الصفة الواجب توفرها في شعر المرأة المرغوبة، فمن بين هذه المواصفات نجد:

*الطول:

ففي نص المثل "اللي حب بنات لفتول يبيع البقرة ويزيد لعجول"، المراد بلفظة الفتول: هما الظفيرتان، فحسب بعض أفراد المجتمع، أن المرأة كانت تعطي بشعرها عناية فائقة فبعد أن تدهنه بزيت الزيتون المستخلص من البيثة، تقسم شعرها نصفين، وتقوم بظفر كل نصف على حدى فينتج في الأخير ظفيرتان أو فتلتان تتدليان أسفل الظهر وهذه اللفظة "فتلة" مشتقة من الفتل، و تجمل هذين الظفيرتين ببعض الخيوط الملونة في نهايتها، فتزين بهما المرأة و تظل محل إعجاب خاصة إذا كانت الظفيرتان متمازان بالطول، و لا زالت بعض النساء المسنات يفعلن مثل هذا اليوم عكس الفتيات، فهن يقمن بتسريح الشعر بطرق تتماشى مع الموضة كما يقولن، وبالنسبة للنموذج الجمالي التقليدي الذي تقوم فيه المرأة بتسريح شعرها ثم تظفره، حسب رأي بعض النساء أن فيه أمر صحي ذلك أن الظفر يخفف و يشفي من الصداع الذي تصاب به المرأة.

كذلك من الأمور المرغوبة بالنسبة لشعر المرأة أن يكون طويلا، فلا زالت بعض المواصفات الجمالية التقليدية سارية المفعول إلى اليوم، ذلك أن طول الشعر يضاف على المرأة مسحة جمالية في قلبها المتعلق بها وهو القالب الأنثوي، وهناك بعض القطع المعدنية الثمينة تزين بها المرأة رأسها خاصة أيام الزفاف، من بين هذه القطع الثمينة التي لا تزال تحتفظ بها ذاكرة مجتمع الحضنة " الفضة " و " الجبين " هذه الأخيرة توضع على رأس العروس فتبدو كأنها تلبس تاجا.

*اللون:

اللون السائد و المفضل هو اللون الأسود أو بالأحرى حالك السواد، كما جاء في نص المثل: " هي نهار أي ضياء و نور وشعرها ليل أي أسود حالك، و كما ذكرنا سابقا أن اللون الأبيض و الأسود إذا اجتماعا يبرزان منظرا جميلا يكون له استحسان من النفس البشرية، فالمواصفات الجمالية المذكورة المتعلقة بشعر المرأة نجدها محل إعجاب واستحسان ليس من طرف أفراد مجتمع البحث فحسب و إنما كذلك من غالبية أفراد المجتمع الجزائري، فالذوق الشعبي الجزائري عموما يحرص على الشعر الطويل الأسود الحالك و الكثيف، و هو ذوق يتحد و الذوق العربي فمن بين الشعراء العرب الذين أشاروا إلى هذا الوصف قديما إمرئ القيس (إمرئ القيس، 1989 ص39).

وَقَرَعُ يَزِينُ الْمَتْنَ أَسْوَدَ فَاحِمٍ أَثِيثٌ كَفَنُو النَّخْلَةَ الْمُتَعَثِكِلِ

غَدَائِرُهُ مُسْتَشْزَرَاتٌ إِلَى الْعَلَا تَظَلُّ فِي مُثْنَى وَ مُرْسَلِ

وإلى جانب الأمثال تبقى الأغاني الشعبية هي الرائدة في تقديم الأوصاف الجمالية للمرأة، خاصة منها الأغاني الغزلية .

5. الرّجل:

" الخبز من الزرع والبقرة من الضرع ولما من الكراع "

من الأمور الجمالية المتعلقة بعضو الرّجل أن يكون ممتلئ خاصة في الأسفل هذا من جهة، ومن جهة أخرى أن يكون أبيضاً، ومرد الشرط الأول أن يكون ممتلئ اللحم، فالمرأة التي تتوفر على هذا الأمر تكون امرأة هادئة، أما إن كان العكس فالمرأة تكون شريرة وشرسة، هذا بالنسبة للأمر الأول أما اشتراط البياض، فسبب ذلك أن رجل المرأة إن كانت يشوبها لون أسود فذلك سينتقل بمرور الزمن إلى سائر جسدها.

كذلك من بين الأمور التي شبه بها عضو الرجل عند المرأة، تشبيهه بقدم الحمام وهو طائر بري و نجد هذا بكثرة في الأغاني الشعبية، ولما سألنا أفراد المجتمع عن سر هذا التشبيه كان الجواب أن من بين المواصفات الحسنة التي تقتبس من الحمامة لتشبه بها المرأة هي: الخفة، النعومة، الهاء، والمنظر الجميل .

وحسب الروايات التاريخية نجد أن الحمام ارتبط بالدين القديم، فالحمام هو الطائر المقدس للربة "أفروديت" وهي يونانية كانت رمزا للجمال النسوي وربة العلاقات الجسدية، واسمها "أفروديت" مشتق من "أفروس" بمعنى "الشيخ" أو "زبد الموج" (لويس عوض، 1965، ص224).

ومما أشبه فيه الحمام الناس، أن ساعات الحضن أكثرها على الأنثى و إنما يحضن الذكر في صدر النهار حضنا يسيرا، والأنثى كالمرأة التي تكفل الصبي فتفطمه، وتمرضه، وتتعبده بالتمهيد والتحريك، حتى إذا ذهب الحضن وانصرم وقته، صار البيض فراخا، كالعيال في البيت يحتاجون إلى الطعام و الشراب، صار أكثر ساعات الرزق (الإطعام) على الذكر كما كان أكثر ساعات الحضن على الأنثى.(أبو عثمان عمرو الجاحظ، 1990، ص 418).

وأُتخذ الحمام طائرا مقدسا نظرا لما له من صبوات غزلية لفتت نظر الإنسان منذ أقدم العهود، فمن بين الأمور التي يشترك فيها الإنسان مع الحمام هي التقبيل، فالحمام لا يدع التقبيل إلا بعد الهرم. (أبو عثمان عمرو الجاحظ، 1990، ص 418).

كذلك هناك علاقات قديمة بين الحمام والإنسان فيذكر "الجاحظ" قول صاحب الحمام: أما العرب والأعراب والشعراء، فقد أطبقوا على أن الحمامة هي التي كانت دليل نوح ورائده وهي التي استجعلت عليه الطُوق الذي في عنقها وعند ذلك أعطاها الله تعالى تلك الحيلة ومنحها تلك الزينة، بدعاء "نوح عليه السلام، حين رجعت إليه، ومعها من الكرم ما معها، وفي رجليها من الطين والحماة ما برجليها [إن علوق الطين برجلي الحمامة أرى أنها البشرى بالأرض اليابسة وانحصار الطوفان] فعوضت من ذلك الطين خضاب الرجلين، ومن حسن الدلالة والطاعة طُوق العنق (أبو عثمان، عمرو الجاحظ، ص 429).

وارتباط الحمامة بالمرأة في ذهنية أفراد المجتمع، لا تزال أثاره باقية، ومن آثار هذا الارتباط تشبيه رجلي المرأة برجلي الحمامة المخضبتين وهذا التشبيه له دلالة غزلية واضحة وهي إضفاء اللون المخضب (الأحمر) على ساقَي المرأة.

كذلك من كرم الحمام الإلف والإنس، والنزاع والشوق، وذلك يدل على ثبات العهد، وحفظ ما ينبغي أن يحفظ، وصون ما ينبغي أن يصان، وإنه لخلق صدق في بني آدم (أبو عثمان، عمرو الجاحظ، ص 429).

وفي الأخير من خلال التعامل مع مدونة الأمثال نسجل غياب الأمثال التي تصف أعضاء أخرى من جسم المرأة، كالأنف، الرقبة، اليد.

خامسا: الجانب الجمالي الباطني للمرأة:

1. الجمال الباطني في الثقافة الشعبية:

يقسم "علي حرب" الجمال إلى كلي و جزئي، و يبرز أن الأخير يخص بعض الذوات دون بعض و يتميز به جمال كل شيء عن غيره، أي الجمال الخاص بكل موجود و هذا الجمال يفيض من عالم المملوكات على عالم الجبروت، و ذلك حيث تشرق الجواهر العقلية بجمال أنوارها على صفحات الأجسام، و لذا فهو ينقسم إلى ظاهر و باطن، أما الظاهر فهو الجمال المحسوس أي ما يتعلق بالأجسام و لا يُدرَكُ إلا معها، كالوجه الحسن و فترات الألفاظ و عذوبة الألفاظ و أما الباطن فهو الجمال العقلي المجرد، إنه ذات الجمال و معناه الروحاني و صورته المعقولة، و هذا الجمال قد يعقل بذاته أو بتجريده من عوارض الأجسام و من أمثلته جمال الخلق و جمال العلم والحقيقة (حرب، 1990، ص103).

هناك نصوص من الأمثال الشعبية متعلقة بهذا الجانب، و هي كثيرة الاستعمال بين أفراد البحث، و من جهة أخرى توظف من طرف النساء قليلات الجمال، فأثناء عملية جمع الأمثال، كلما تطرقنا مع أحد بعض أفراد المجتمع إلى الاستفسار حول بعض النصوص المتعلقة بالجانب الجمالي الظاهر أو الشكلي فما أن يتم سرد شرح المثل وإطلاعنا على مناسبة استعماله إلا ويردف مباشرة ذلك بالحديث عن الجمال الخلقي، وحسن السلوك، فهذا الأمر يعد من المعايير الأساسية التي يتم على أساسها اختيار شريكة الحياة، ومرد التركيز على هذا الأمر يعبر عن مدى تحكم القيم الخلقية والدينية في ذهنية الأفراد وتوجيه سلوكهم، فيظل الجانب الأخلاقي مدعما بتلك القيم .

ومن نصوص الأمثال التي تحت على التزام الخلق الحسن والسلوك النبيل باعتباره من أسس الجمال الباطني ومن الكمالات التي تزيد الجمال الشكلي نضارة وبهاء.

" لا زين إلا زين لفعال والدين "

" طويلة وعريضة ومن قلبها مريضة "

"لا يغرك نوار دفلة في الواد عامل ضلايل، ولا يغرك زين الطفلة حتى تشوف لفعايل".

و إذا أمعنا التأمل في نصوص هذه الأمثال نجدها تبرز النوع الثاني من الجمال، و المتمثل في الجمال الباطني، و الجمال الباطني كما ذكرت سابقا يتجلى في الخلق الحميد و السلوك الطيب، و هذا ما تشير إليه الوحدات الواردة في نصوص الأمثال.

لا زين إلا زين لفعال، أي لا جمال مكتمل إلا إذا كان الشخص جميل في أفعاله ومحل هذا الجمال يكون في القلب كذلك، و نرى أن سياق الكلام هنا يدل على نبذ الجسد والغيرة خاصة أن سلوك الغيرة من الأمور اللصيقة بالمرأة، فالمرأة -حسب نصوص الأمثال - التي تتمتع بجمال باطني يلزمها أن تتخلى و تترفع عن ذلك .

وإذا عدنا إلى كلام "الشيخ عبد الرحمان المجذوب" نجده يقدم لنا لوحة فنية في هذا الجانب معتمدا على عناصر نباتية و لونية مستقاة من البيئة الطبيعية ليوصل بها صورة تعبر عن ضرورة الالتزام بالقيم الخلقية، و التمسك بالفضيلة، فيحذر الناظر إلى نوار الدفلة في الواد و هو مشكل ضلايل أي متشابك الأغصان مصطف على حافة الواد، هذا الخط يبدو فسيفسائيا من خلال اختلاط اللون الوردي لنوار الدفلة مع أوراق شجرها الأخضر، فالناظر إليه يعجب به أيما إعجاب و لكن إذا تقدم من هذا الزهر المتراكم فوق شجر الدفلة لا تفوح منه رائحة الورود الأخرى المفتحة هذا من جهة، ومن جهة أخرى إذا تذوق طعم شجرة الدفلة فإنه يجدها مرة كالعلقم.

أورد المجذوب هذا التشبيه و ركز فيه على نوار الدفلة، ذلك أن في هذا الوقت - وهو زمن الربيع - تبدأ الحرارة تنتشر فتتوق كل المخلوقات إلى الاقتران والوصال، فهو فصل إخصاب إن صح التعبير .

وإذا عدنا إلى موضع التشبيه بين الدفلة والطفلة في كلام الشيخ عبد الرحمن المجذوب نجده يقدم النصيحة للرجل فكما أن منظر شجرة الدفلة جميل لا رائحة له

وطعمه مر جدا، ف كذلك زين الطفلة و جمالها الظاهر فيظل ناقصا غير مكتمل دون الجمال الباطني، والذي عبر عنه المجذوب "بزين لفعائل"، فزين الفعل يظل صاحبه يمتاز بمظهر العفة والشرف، فقد تكون المرأة حسناء ولكن إذا لم يعرف الرجل سيرة حياتها وفعالها وعائلتها، فقد يجر إلى نفسه البلاء خاصة إذا وجدها فاقدة لعذريتها والتي لا تزال محل اهتمام ومقاييس من مقاييس الشرف في المجتمع الجزائري، فيبقى شكل المرأة جميل كشجرة الدفلة ولكن الذوق في جانبه النفسي يظل مرا كطعم مرارة الدفلة.

ومن الأقوال والأمثال الواردة كذلك في هذا الجانب: "لا زين إلا بالفعال والدين" وإذا بحثنا عن مصدر هذا المثل نجد أن مصدره الحديث النبوي الشريف الذي يحث على التزوج بالمرأة ذات الدين " ... فاظفر بذات الدين تربت يداك".

2. أمثال عالمية مشتركة:

وتقسيم الجمال إلى ظاهر و باطن لدى فئات عامة الشعب، نجده يتطابق والتقسيم الذي قدمه علماء النفس و الأخلاق و من الأمثال العالمية التي تشترك مع أمثالنا التي تدعو وتحث عن الجمال الخلقي و النفسي نجد:

"إننا من الناس لا تقرهما أبدا: رجل، كل رأسماله المال، وإمرأة كل رأسمالها الجمال".

"أخته في الخمارة وهو عامل إمارة".

"أدب المرأة مذهبا موش ذهبا".

"أديني الحرة النقية ..الي تزودني وقية".

و من الأمثال الإسبانية نجد:

"أفضل ما يشرف الرجل، أن توجد إمراة تثق بشرفه".

"الحب الصحيح يجعل المرأة طاهرة".

"إن كان الرجل بحرا ... تكون المرأة جسرا".

"المرأة: عقل..وروح..وعاطفة" مثل صيني

الخاتمة

إن المبدع الشعبي داخل المجتمع وجد المرأة مصدرا للإلهام، و يمكن أن نعتبر الأمثال الشعبية شأنها شأن الأغنية الشعبية، تعبير عن مشاعر تلقائية تصدر دون تكلف أو تصنع، من حيث مطابقة شكل التعبير لبساطة الفرد، إن هذه الأمثال الشعبية المتعلقة بالجانب الجمالي، تعكس المشاعر اليومية الجمالية للفرد، فغالبا ما تجد المشكلات الجنسية لدى الأفراد متنفسا واسعا في أشكال التعبير الشعبية المختلفة كالأمثال و الأغاني الشعبية، و إن لمسنا من خلال التحليل و التركيز على سيميائية بعض الكلمات في نصوص الأمثال الشعبية، مسحة فنية و ذوقية عند الفرد، لكن نجد أن النظرة الجنسية تجاه المرأة تأتي غالبية على الذوق الغزلي و على ظاهرة الحب و الحوار القلبي.

ومن جانب آخر نجد أن الطبقات الشعبية تولي اهتماما خاصا للجمال الباطني و السلوكي عند المرأة، وهذا ما يبرز بعدا ثان إلى جانب النظرة الجنسية للحب، فمن خلال الملاحظة و المشاركة اليومية لأفراد المجتمع . لا زال التركيز على الجانب الجمالي السلوكي من الشروط الضرورية الواجب توفرها في الزوجة و ذلك راجع إلى نظام القيم السائد في المجتمع .

كذلك هناك بعض الأصول لأنساق فكرية معينة لا تزال شائعة في المجتمع تبرز مدى تفاعل الفرد مع البيئة كتشبيه المرأة بالشمس، وهو تشبيه مشترك بين أفراد المجتمع الجزائري وبعض المجتمعات الأخرى، وذلك يمكن إرجاعه إلى حركة الانتشار، والتأثير والتأثر بين المجتمعات البشرية، كالاتسار في تضخيم الأعضاء الأنثوية عند الوصف أو الرسم أو

النحت، وكل ذلك راجع إلى الصور أو التمثيلات التي توارثتها الأجيال حتى ترسخت، فأصبحت شيئاً طبيعياً، وفي هذه الحالة ضخّم الجانب الحسي أو المادي في المرأة، إلى أن تحولت إلى مجرد جسد جمالي إغرائي للرجل، ولذلك فالأمثال الشعبية في غالبيتها من خلال ما سبق نجد أنها ركزت على البعد المادي الجمالي للأنثى، وانعدمت فيها الأبعاد الخفية لفاعلية الأنثى، وهذه النظرة المادية تتحكم في سلوك الفرد ذلك أنها تتمتع بحكم مفاده مطابقتها للصدق المجتمعي.

كما يمكن أن نستنتج نموذجاً أعلى للجمال يشترك فيه كل أفراد المجتمع في نظرتهم تجاه المرأة ولا يزال مسيطراً إلى وقتنا الحاضر رغم الغزو الثقافي، و بروز النماذج الجمالية الأخرى في البرامج الإعلامية .

قائمة المصادر والمراجع

- أرسطو طاليس: كتاب النفس تر: أحمد فؤاد الأهواني، ط 2، دار إحياء الكتب العربية، مصر، 1962.
- إمري القيس: ديوان امرئ القيس، تحقيق حنا الفاخوري، دار الجيل، بيروت، 1989.
- أبو عثمان عمرو الجاحظ: الحيوان، مج 1، ط 3، دار ومكتبة الهلال، بيروت 1990.
- الكتاب المقدس: نشيد الإنشاد د، طبعة العيد المئوي 1883-1983، دار الكتاب المقدس بمصر .
- شهاب الدين أحمد، النويري: نهاية الأرب، ج 3، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، وزارة الثقافة والإرشاد القومي . (د.ت).
- عبد الرحمان بدوي: الموسوعة الفلسفية، ج 1، ط 1، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت 1984.

- كرم البستاني وآخرون: المنجد في اللغة والأعلام، ط، 31، دار المشرق، بيروت، لبنان، 1991.

- أحمد، الأمين: حيزية الملحمة، دار الصباح للنشر، الجزائر، 1991.

- أحمد، كمال زكي: التفسير الأسطوري للشعر القديم، مجلة فصول، مج 1، ع 3، أبريل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1981.

- الجسد والمجتمع، دراسة أنثروبولوجية لبعض الاعتقادات والتصورات حول الجسد، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت لبنان، 2008، ص 17، ص 18.

- عبد القادر، فيدوح: الجمالية في الفكر العربي، مطبوعات جامعة منتوري، قسنطينة، 2001.

- علي، حرب: الحب و الفناء، دار المناهل، بيروت، لبنان، 1990.

- علي، البطل: الصورة في الشعر العربي، ط 3، دار الأندلس، بيروت-لبنان، 1983.

- فريد، الزاهي: الجسد والصورة والمقدس في الإسلام، إفريقيا الشرق، لبنان، 1999.

- لويس عوض: نصوص النقد اليوناني، دار المعارف، القاهرة، 1965.

- نازك الملائكة: التجزئة في المجتمع العربي، ط 2، دار العلم للملايين، بيروت، 1980.

- Bertholon. L., ET Autre, (1913). Recherches anthropologiques dans la berbérie Orientale: Tripolitaine; Algérie; Tunisie; Lyon;.

- Chebel, M., (1995). Dictionnaires des symboles, rites, mystiques et civilisation; Paris, p197.

- Marcel Mauss; Sociologie et Anthropologie, Quadrige; PUF.